# هاروت وماروت والسحر

## هل سحر النبي !!؟

للدكتور محمد نوفيق صدقي

...« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . . . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق . ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

ذهب كثير من المحققين سلفا وخلفا إلى أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى فى بابل وكانا يعلمان الناس ويبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء ، وما يعلمانه للناس هو بوحى من الله ، وبلغ من مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما وفى علمهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » أى أننا نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك أتشكر أم تكفر ؟ ونتصح لك بأن لا تكفر ، يقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية ، وصناعتهما روحانية ، وأنهما لا يقصدان إلا الخير كما يفعل ذلك دجاجلة هذا الزمان قائلين لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض على زعمهم ، توصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة إلى رجل غير زوجها : إلى غير ذلك من الأوهام والافتراء ، ولليهود فى ذلك خرافات كثيرة ، حتى أنهم يعتقدون أن السحر نزل عليها من الله وأنهما ملكان جاءا لتعليمه للناس ، وقد جاراهم فى ذلك جهلة من المفسرين فجاء القرآن مكذبا لهم فى دعواهم نزوله من السماء وفى ذم السحر ومن يتعلمه أو يعلمه فقال : « يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين » إلى آخر الآية ، فما هنا نافية على أصح الأقوال ولفظ — الملكين

هنا وارد على حسب العرف الجارى بين الناس فى ذلك الوقت كما يرد ذكر آلهة الخير والشر فى كتابات المؤلفين عن تاريخ اليونان والمصريين وغيرهم ، وكما يرد فى كلام المسلم فى الرد على المسيحيين فى ذكر تجسد الإله وصلبه ، وإن كان لا يعتقد ذلك .

والمراد بالشياطين المذكورين قبل ذلك فى قوله : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين » ، خبثاء الأنس وأشرارهم كما فى قوله تعالى : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » وقوله تعالى : « شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض » والذى يعين هذا المعنى فى الآية التى نحن بصدد تفسيرها قوله سبحانه « تتلوا » لأن تلاوة شياطين الجن لا يسمعها أحد ، ومعنى تتلوا هنا : تقص ، وقوله بعدها « يعلمون الناس السحر » . يعين هذا أيضا ، إذ لا يتعلم أحد السحر إلا من شياطين الأنس ، وقوله تعالى : « ما يفرقون به بين المرء وزوجه » هو من قبيل التمثيل لاظهار الأمر فى أقبح صوره ، أى بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد ، أن يتمكنوا به من التفريق بين أعظم مجتمع كالمرء وزوجه ، والخلاصة أن معنى الآية من أولها إلى آخرها هكذا :

إن اليهود كذبوا القرآن ونبذوه وراء ظهورهم واعتاضوا عنه بالأقاصيص والخرافات التى يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه وزعموا أنه كفر ، وهو لم يكفر ، ولكن شياطينهم هم الذين كفروا وصاروا يعلمون الناس السحر ويدعون أنه أنزل على هاروت وماروت اللذين سحرهما ملكين ولم ينزل عليهما شىء ، وإنما كانا رجلين يدعيان الصلاح لدرجة أنهما كانا يوهمان الناس أنهما لا يقصدان [illegible] انهم من الكفر ، وبلغ من أمر ما يتعلمونه منهما من طرق الحيل [illegible] أنهم يفر[illegible] ون به عقد المستجدين .

فأنت ترى من هذا أن المقام كله للذم فلا يرد فيه مدح هاروت وماروت كما توهم كثير من المفسرين والذى يدلك على صحة ما قلناه فيهما أن القرآن ذكر نزول أى ملك إلى الأرض ليعلم الناس شيئا من عند الله غير الوحى إلى الأنبياء ، ونص نصا صريحا أن الله لم يرسل إلا الانس لتعليم بنى نوعهم فقال : « وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقال منكرا على من طلب إنزال الملك « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون » وقال فى سورة الفرقان « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا » إلى قوله « فضلوا فلا يستطيعون سبيلا » .

واعلم أن السحر لا يغير حقائق الأشياء وإنما هو تخيل وشعوذة وحيل كما قال تعالى فى حكاية سحرة فرعون : « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » وقال أيضاً . « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » أى إنهم دلسوا عليهم وخيلوا لأبصارهم وأوهموهم صحة مايفعلون ، فأين هذا من قول كتاب اليهود الذى يقول : — وصارت العصى ثعابين — كأن المسألة كانت حقيقة .

هذا وإذا لم يكن للسحر تأثير حقيقى فلا يمكن أن يسحر النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنه صار يخيل إليه أنه يفعل الشىء وهو لا يفعله كما افتراه المفترون ، إذ لو جاز ذلك لجاز أن يتوهم أنه أوحى إليه شىء وهو لم يوح إليه ، ولصدق عليه قول الكافرين « إن تتبعون إلا رجلا مسحورا » وقد أنكر القرآن عليهم ذلك بنفسه ، وإنما قالوه طعنا فيه ورداً لحجته الباهرة كما قالوا عنه أنه ساحر وكاهن ومجنون وشاعر إلى غير ذلك مما اختلقوه ، وأما قوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » الذى اتخذه المفترون دليلا على افكهم فمعناه هكذا :

النفاثة من صيغ المبالغة كالعلامة والفهامة يستعمل كذلك للذكر والأنثى ، والنفاثات جمعه والمراد بها هنا النامون المقطعون لروابط لروابط الألفة ، المحرفون لها بما يلقون من ضرام نمائمهم ، وما ينفثون فيها من كوم وشاياتهم ، والعقد كالعقود معنى مثل عقدة النكاح ، وعقدة البيع وغيرهما ، كأنه قال : نعوذ من شر من يسعى لحل المجتمعات الخيرية ، والتفريق بين المحبين المتحدين .

والدليل على كذب المفترين غير ما ذكرنا أن هذه مكية وما يزعمونه يدعون أنه حصل بالمدينة ، فكيف يصح أن يقال نزلت فيه ؟ .

ومن هنا يتضح أن دعوى سحر الرسول صلى الله عليه وسلم كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، وأن ما يتوهمه بعض العامة فى السحر باطل . وأن الإسلام وهو دين العقل والعلم لا يقره ولا يرضى عنه ؟